بين التربية والهويَّة: بعض من ملامح أدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل

سلوى علينات*

تلخيص:

يهدف المقال الحالي إلى فتح حيّز للنِّقاش حول مكانة أدب الأطفال في المجتمع، باعتباره مرآة لمفاهيم المجتمع وتصوُّراته حول ذاته والآخرين، إضافة إلى نظرته لماضيه وحاضره. وفي هذا السِّياق يشكِّل بناء الهويَّة الفرديَّة والجماعيَّة مطمحًا للمجتمع، بينما تشكل التَّربية الأداة التي من خلالها يسعى المجتمع لبناء هويَّته. يكشف المقال الحالي نزوع الكتَّاب الفلسطينيّين في الدَّاخل إلى بناء هويَّة فرديَّة لدى جيلها الشَّاب، تتحلَّى بالعلم والثَّقافة والقيم الإنسانيَّة الرَّاقية، بينما يهمل الكتَّاب الهويَّة الجماعيَّة، سواء أكانت دينيَّة أم قوميَّة أم مدنيَّة. يحاول المقال الحالي سبر أغوار هذه التَّوجُّهات ورسم بعض الملامح لأدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل منذ عام 1948 وحتَّى يومنا.

مقدِّمة

يتَّفق الباحثون على اعتبار أدب الأطفال وسيلة تربويَّة يقوم من خلالها المربُّون والآباء، ممثِّلو المجتمع، بنقل مبادئه، عاداته وتقاليده، مفاهيمه، تراثه، لغته وقيمه للجيل النَّاشئ، سعيًا منهم لخلق تواصل بين الأجيال. حيث يلعب أدب الأطفال دور الوسيط الاجتماعي الذي يمكِّن الطِّفل من استقاء المعرفة والقيم من محيطه (علينات، 2012؛ اسبستيان، 2006؛ الطَّيِّب فقيه، 2004؛ بقاعي، 2003؛ الشَّعبي، 2002؛ جوهر، 1988؛ الشَّمَّاس، 1996؛ فرخ الهدهد، 1992؛ علينات، 2009 ؛ كوهين 1985; ريغف 1985).

ولعلَّ هذا الدَّور كان قائمًا منذ قرون لدى جميع الثَّقافات والشُّعوب، إلَّا أنَّ أدب الأطفال كان شفويًّا في معظمه. أمَّا الوعي بأهميَّة كتابة القصص ونشرها فقد وصل ذِروته في القرنين الماضيين، لدى البريطانيّين الذين اهتمُّوا بأدب الأطفال ونشره، ليس فقط في المملكة، إنَّما أيضًا في مستعمراتهم. ويشهد القرن العشرون على تطوُّر أدب الكتابة للأطفال

* باحثة في أدب الأطفال، كلية بيت بيرل.

في جميع بلدان العالم، ومنها العالم العربي ومن ضمنه فلسطين. والمتتبّع لتاريخ تطوُّر أدب الأطفال يجد أنَّه إضافة للأسباب التَّربويَّة الدَّاخليَّة التي تتعلَّق بالحفاظ على موروث الشُّعوب وقيمها، يجد أنَّ هذا الأدب قد شكَّل أداة في المواجهات والصِّراع بين الشُّعوب، فهو يلعب دورًا في الصِّراع بين الرَّأسماليَّة والشُّيوعيَّة خلال القرن الماضي، وفي بلادنا كان مؤسِّسو الكتابة للأطفال على وعي بالصِّراع بين الصُّهيونيَّة والقوميَّة العربيَّة فاتَّخذوا من أدب الأطفال وسيلة لتجنيد الجيل الشاب وتوعيتهم بماهيَّة الصِّراع ودورهم فيه، كما فعل أندادهم من الكتَّاب اليهود قبل قيام دولة إسرائيل (علينات، 2012؛ دار، 2006؛ ريغف، 1992؛ كوهين، 1985).

كما أنَّ أدب الأطفال هو أيضًا وسيلة للتَّعبير عن القيم المرجوَّة والمتوقَّعة من الجيل الشاب، إنَّه وسيلة لرسم ملامح المستقبل، ليس فقط للطِّفل كفرد، بل أيضًا للمجتمع ككل. وهذا من خلال بناء هويَّة جيل شابٍّ يتناسب مع قيم وثقافة ودين مجتمعه أيًّا كان.

قد يبدو للوهلة الأولى أنَّ الكتابة للأطفال هي أمر سهل ولا يستحق عناء التَّفكير أو البحث، وقد يدور في خلد القارئ أنَّه لا يجب تعقيد الأمر أكثر من اللَّازم، فكيف يستطيع هذا الأدب أن يبني شخصيَّة القارئ؟ وكيف له أن يؤثِّر عليه؟ ولماذا هذا الاهتمام بأدب الأطفال وفي المجتمع ما يكفيه من التَّعقيدات والمشاكل الاقتصاديَّة، الاجتماعيَّة والسياسيَّة اليوميَّة؟

وتكمن الإجابة عن هذه التَّساؤلات على عدة مستويات، أولها: إنَّ **أدب الأطفال يعكس بشكل أو بآخر أنماط المجتمع، عاداته وتقاليده، نقاط ضعفه وقوَّته وأيضًا رؤيته المستقبليَّة**، وتبلغ أهميَّة هذا الأمر أقصاها عندما يعيش المجتمع حالة من الارتباك في هويَّته نتيجة للصِّراعات التي يمرُّ بها، سواء أكانت داخليَّة على خلفيَّات: طبقيَّة، دينيَّة-طائفيَّة، جنسانيَّة، قوميَّة (في مجتمع متعدِّد القوميَّات) وغيرها، وسواء أكانت هذه الصِّراعات خارجيَّة مع الآخر المختلف قوميًّا، دينيًّا وثقافيًّا وتجري بينهما علاقات قوَّة غير متكافئة. ولا شكَّ أنَّنا في هذا المضمار لا نستطيع استثناء المجتمع الفلسطيني في إسرائيل،

الذي يعيش صراعات داخليَّة وخارجيَّة ظاهرة وباطنة، على مستوى الأفراد والجماعات، وبالتَّالي فإنَّ قصص الأطفال تشكِّل حيّزًا يتمُّ من خلاله التَّطرُّق إلى هذا الواقع أو تجاهله، أو الاثنين معًا. وفي كلِّ الحالات يشكِّل هذا الأدب مرآة للواقع، يمكننا من خلاله فهم ديناميكيَّة هذا المجتمع والطَّريقة التي يبني فيها هُويَّته، سواء أكان ذلك من خلال التَّركيز على مميّزات هذه الهويَّة أو من خلال عرض النَّقيض لها أو من خلالهما معًا.

مستوًى آخر لأدب الأطفال **يتعلَّق بالتَّواصل بين الأجيال وبناء المرجعيَّة**، سواء أكانت مستمدَّة من التَّاريخ الماضي أو المعاصر، حيث تتشكَّل القدوة من خلال شخصيَّة بطل القصَّة الذي تنقاد إليه الأحداث، فيقودها ويجد الحلول لمشاكله، ومعه يمكن للقارئ الصَّغير أن يتفاعل ويتعاطف وبالتَّالي أن يكتسب منه القيم والمعرفة والسُّلوك الذي يلائم مجتمعه. فالواقع الفلسطيني اليوم، كما العديد من المجتمعات، يعيش ضمن سياق العولمة، ويتأثَّر بمرجعيَّات من ثقافات مختلفة تأتيه من خلال وسائل الإعلام والاتِّصال المختلفة، وفي ظلِّ ذلك تبرز **الحاجة للخصوصيَّة الثَّقافيَّة**، التي تحوي في داخلها مكوِّنات منهج الحياة، والتي تعتبر حاجة هامَّة من أجل بلورة شخصيَّة فاعلة ومنتجة في المجتمع. وفي هذا السِّياق يمكننا أن نتساءل: هل ركَّزت مضامين أدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل على خصوصيَّة واقعه أم أنَّها كانت ذات توجُّه قيمي إنساني تتشارك به مع بقيَّة القوميَّات في العالم؟

أمَّا المستوى الثَّالث الذي يمكننا من خلاله التَّعرُّض لأدب الأطفال، فيتعلَّق **بطريقة التَّوجيه والتَّربية**. حيث تعتبر طريقة التَّربية والإرشاد مؤشِّرًا لمكانة الطِّفل والقيم المتعلِّقة بشخصيَّته والتي يرغب المجتمع في إنتاجها واستمرارها. وفي هذا السِّياق، يطرح السُّؤال الآتي: هل اعتمد أدب الأطفال على التَّوجيه المباشر والوعظ والنَّصيحة، التي عادة يسديها الكبار للصِّغار من أجل تغيير سلوكهم على النَّحو المرغوب؟ أم أنَّه تمَّ التَّعامل مع عقل الطِّفل وخياله وتمَّ توجيهه بطريقة غير مباشرة، يستطيع الطِّفل من خلالها التَّفكير والتَّخيل ومقارنة الأمور والوصول إلى النَّتيجة المرغوبة؟

لقد اعتمد البحث على فحص المضامين التي عالجها أدب الأطفال الفلسطيني منذ عام 1948 وحتى عام 2010. قسَّمت مراحل الكتابة إلى مرحلتين أساسيَّتين هما: المرحلة الأولى التي تشمل الجيل المؤسِّس لأدب الأطفال منذ سنوات السِّتِّينيَّات وحتى نهاية الثَّمانينيَّات من القرن العشرين. أمَّا المرحلة الثَّانية فتشمل الجيل الجديد الذي بدأ الكتابة للأطفال في سنوات التِّسعينيَّات من القرن الماضي واستمرَّ حتَّى يومنا هذا. أمَّا اختيار نقاط الانطلاق الزَّمنيَّة فينبع من مضامين وأسلوب الكتابة للأطفال في كلِّ جيل، ومن خلال المقال الحالي سنتطرَّق إلى ملامح كلِّ جيل وكيف تمَّ التَّعبير من خلال أدب الأطفال عن الهويَّة الفرديَّة والجماعيَّة في المجتمع العربي في إسرائيل، التَّواصل مع الأجيال وطاعة الآباء وطريقة التَّوجيه والتَّربية المتَّبعة.

لقد تمَّ استنتاج المميِّزات والقواعد المشتركة للجيلين من خلال مطالعة مائة قصَّة أطفال، خمسون منها كتبت في المرحلة الأولى وخمسون أخرى كتبت في المرحلة الثَّانية. أمَّا الإطار الزَّمني للقصص فهو منذ سنوات السِّتِّينيَّات وحتَّى 2012 لكتَّاب وكاتبات، بعضهم كتبوا للكبار والصِّغار معًا وبعضهم لم تتعدَّ كتابته القصَّة الواحدة، قسم منهم أمثال مصطفى مرَّار ومحمود عبَّاسي كتبوا في الجيلين معًا. وتمَّ الاستناد على 50 قصَّة نشرت للجيل المؤسِّس بين الأعوام 1954-1991 وهي للكتَّاب: مصطفى مرَّار، عبد اللَّطيف ناصر، محمود عبَّاسي وجمال قعوار وسليم خوري. ويلاحظ من الجيل المؤسِّس أنَّه لم تكن أيُّ كاتبة من النِّساء. بينما في نهاية سنوات الثَّمانينيَّات فقد بدأت النِّساء بالكتابة، فمن الرِّياديَّات كانت الكاتبة جهاد عراقي، نبيهة جبَّارين وفتحيَّة الطَّبري اللَّواتي عملن في مجال الطُّفولة المبكِّرة في وزارة التَّربية والتَّعليم ولاحظن افتقار مكتبات الرَّوضات في المجتمع العربي إلى قصص الأطفال[1].

أمَّا قصص الجيل الثَّاني فشملت الكتَّاب/الكاتبات: جهاد غوشة- عراقي، نبيهة جبَّارين، مينا عليَّان حمُّود، ميسون أسدي، عواطف بصيص أبو حيَّة، حنَّا أبو حنَّا، نيفين عثامنة، نادر

1- مقابلة مع جهاد عراقي بتاريخ 12.9.2012.

أبو تامر، نجيب نبواني، إلهام دويري تابري، لينا أبو الهيجا، نرجس كبها، فائق إسماعيل، أسمهان خلايلة، د. محمد حجيرات ود. سلمان عليَّان، حياة بلحة أبو شميس، ميسون أسدي إبراهيم الكيَّال، أحمد ناطور، إبراهيم حجازي، رباب زحالقة، فاضل جمال علي وأحمد سليمان. ومن خلال المقال الحالي عرض تحليل لستَّ عشرة قصَّة من قصص الجيل المؤسِّس والجيل الثَّاني لكتَّاب أدب الأطفال، من خلالها يمكن للقارئ استكشاف بعض الملامح المميِّزة للأدب في الفترتين الزَّمنيَّتين[1].

ونجد أنَّ أغلبيَّة كتَّاب قصص الأطفال الذين يخصُّهم هذا المقال بالتَّناول والمراجعة، تظهر إمَّا في الجيل المؤسِّس للكتابة أو في الجيل الجديد. يهدف المقال الحالي إلى وضعهم ضمن الإطار العام للكتابة للأطفال في المجتمع العربي في إسرائيل، وهو إطار يقرأ المجتمع من خلال النُّصوص الأدبيَّة باعتبارها نصوصًا اجتماعيَّة وسياسيَّة تعكس علاقات القوَّة، ليس فقط بين الذَّات والآخر، إنما أيضًا داخل الذَّات نفسها.

لقد اعتمد منهج البحث على تحليل كيفي لنصوص القصص وقراءتها ضمن السِّياقين السِّياسي والاجتماعي، واستنباط المضامين المباشرة وغير المباشرة فيها، إضافة إلى إجراء مقابلات مع كتَّاب القصص حول تجربتهم الأدبيَّة. المقال الحالي، فسيعرض بعض النَّماذج لبعض قصص الأطفال وبعض الكتَّاب التي تعكس بعضًا من القضايا المركزيَّة التي تعرَّض لها أدب الأطفال في المراحل الزَّمنيَّة المختلفة. ولا يهدف المقال الحالي إلى إعطاء حقيقة دامغة ومطلقة حول تحليل أدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل. لم تشمل عيِّنة البحث جميع قصص الأطفال وجميع الكتَّاب والكاتبات، وقد نكون قد أغفلنا ذكر أسماء هامَّة في صناعة هذا النَّوع من الأدب، إلَّا أنَّنا نحاول عرض إطار تحليلي كيفي مختلف نوعًا ما عن الدِّراسات التي تتناول أدب الأطفال، والتي تركِّز بشكل عام على بحث القيم، التي تعرض بمنهج بحث كمِّي، التي تعرضها قصص الأطفال أو أنَّها تركِّز على الجوانب النَّظريَّة لهذا الأدب. وفيما يخصُّ الأدب الفلسطيني في إسرائيل، فهناك بعض الدِّراسات فقط، التي

[1] القصص التي يتناولها البحث بشكل عام والمقال بشكل خاص هي على سبيل المثال لا الحصر.

ركَّزت على جوانب عينيَّة انطباعيَّة أو على كتَّاب مثل: سليم خوري ومصطفى مرَّار، دون عرض هذا الأدب في إطار يضمُّ داخله القواسم المشتركة، الفروقات بين قصص الأطفال (أبو فنِّة، 2006؛ مواسي، 2007؛ أسعد، 2006؛ إسبنيولي وإسبنيولي، 2002؛ أبو فنِّة وعزايزة، 1996).

أدب الأطفال وبناء الهويَّة

ليس اختيارنا لمصطلح أدب أطفال فلسطيني في إسرائيل أمرًا مسلمًا به، فالسُّؤال من هو الفلسطيني وما هو الأدب الفلسطيني، لا يزال قيد النِّقاش في الدِّراسات الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة. وقد طرح النَّاقد الأدبي د. عادل الأسطة، المحاضر في قسم الآداب في جامعة بير زيت في رام الله، في أحد مقالاته سؤالًا حول هويَّة الكاتب الفلسطيني؟ وهل هو من يحمل جواز سفر فلسطيني؟ أم أنَّه من يسكن فلسطين التَّاريخيَّة ضمن مناطق السُّلطة الفلسطينيَّة أو ضمن إسرائيل؟ أهو مقاوم للصُّهيونيَّة أم أنَّه متعايش مع واقعه أينما كان في الدَّاخل أو في الخارج؟ وهل هو من يكتب باللُّغة العربيَّة؟. ويلخِّص الأسطة موقفه بالقول إن الكاتب الفلسطيني هو الموالي للقضيَّة الفلسطينيَّة ومؤمن بها (الأسطة، 2000). أمَّا في المجتمع العربي في إسرائيل فأحيانًا يطرح مصطلح الأدب المحلِّي، وفي ذلك تفادٍ لإبراز الهويَّة الفلسطينيَّة للأديب والأدب، وفي هذا موقف يعبِّر عن موقعة الأديب لذاته، مجموعته وأدبه ضمن السِّياق الاجتماعي والسِّياسي المحكوم له. ولا نهدف في هذه المقدِّمة أن نطرح أجوبة أو بدائل للتَّسمية، إنَّما أن نثير نقاطًا للنِّقاش والتَّساؤل حول هويَّة الأدب والأديب المخصَّص ليس فقط للبالغين، بل أيضًا للأطفال، لأنَّ سؤال الهويَّة لا يشكِّل الإطار العام فقط، بل هو عامل ذو تأثير على المضامين المباشرة وغير المباشرة التي يعرضها الأدب. ومن خلال متابعة قصص الأطفال في الجيلين الأوَّل والثَّاني لأدباء فلسطينيِّين من إسرائيل، نجد أنَّ القليل منهم من عُني بإبراز الهويَّة الوطنيَّة الفلسطينيَّة، بالمقابل كان التَّركيز على الهويَّة المحلِّيَّة، من خلال إظهار الارتباط والانتماء للقرية والطَّبيعة، العادات والتَّقاليد الإيجابيَّة، طاعة واحترام جيل الآباء والأجداد. ومن خلال تحليلها لصورة الوطن

في قصص الأديب مصطفى مرَّار، تجد دينيس أسعد أنَّ مرَّارًا في أغلب قصصه يتحدَّث عن الوطن قبل عام 1948، حيث تميَّز أفراده بالنَّشاط وحبِّ الأرض، كما أنَّهم ينتمون لمبنى عائلي تقليدي، تبرز فيه أهميَّة للعلاقات الأسريَّة، يتشوَّق الكاتب للعودة إليه، الماضي. ومن خلال قصصه يؤكِّد مرَّار على ضرورة الحفاظ على معالم الوطن ليس فقط الجغرافيَّة، بل أيضًا على العادات والتَّقاليد واللُّغة ونبذ الأساطير والخرافات (أسعد، 2006).

ولكنَّ السُّؤال الذي يطرح نفسه: ما هي معالم المحلِّيَّة التي يطرحها أدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل؟ في ظلِّ سياق الاجتماعي والسِّياسي الذي يميِّز العرب الفلسطينيِّين في إسرائيل، فهم أقلِّيَّة أصلانيَّة في دولة تعرِّف نفسها على أنَّها يهوديَّة وديمقراطيَّة من جهة، ومن جهة أخرى تخضع هذه الأقلِّيَّة لرقابة من قبل الدَّولة. كانت الرَّقابة إبَّان الحكم العسكري المباشر منذ قيام الدَّولة عام 1948 وحتَّى إلغائها رسميًّا عام 1968. وفي هذا السِّياق يمكننا أن نطرح تساؤلين: كيف تمَّ التَّعامل مع الرَّقابة السُّلطويَّة؟ وكيف طرحت قضيَّة الانتماء من خلال أدب الأطفال؟

عند الحديث عن الهويَّة، الحديث عن مصطلح فضفاض غير واضح المعالم، يمكننا أن نضع فيه أيَّ تعريف يناسب شخصيَّاتنا الفرديَّة والجماعيَّة. الهويَّة الجماعيَّة هي الشُّعور المشترك. يدَّعي أندرسون أنَّها متخيَّلة. تصنع هذه الهويَّة بناءً على معطيات الواقع والتَّوقُّعات المستقبليَّة. عند الحديث عن الهويَّة الجماعيَّة هناك من يربطها بالدِّين، بالثَّقافة، بالقيم أو بالدَّم والاثنيَّة. وهناك من يدَّعي أنَّ الهويَّة متغيِّرة بحسب الزَّمان والمكان والظُّروف. إذًا هناك صراع بين الثَّابت والمتغيِّر في الهويَّة. لقد أجريت أبحاث عديدة حول هويَّة الفلسطينيِّين في إسرائيل وطرحت مفهومي الأسرلة والفلسطينيَّة كقطبي صراع وتناقض على مستوى الولاء السِّياسي والثَّقافي. فالأسرلة بمفهومها العام يمكن أن تضمَّ داخلها قيمًا ومفاهيم حداثيَّة في التَّعامل مع الفرد والجماعة. أمَّا الفلسطينيَّة فيمكنها أيضًا أن تضمَّ دوائر انتماء إقليميَّة وعالميَّة (سموحه 1998; الحاج 2000; Hofman 1988).

لقد مرَّ الفلسطينيُّون في إسرائيل في بلورة ثلاثة أنواع من الهويَّات منذ عام 1948 وهي الدِّينيَّة، المدنيَّة الإسرائيليَّة، والقوميَّة الفلسطينيَّة. فهل عكس أدب الأطفال هذه الهويَّات؟ هل أنتج أيًّا منها؟

مقارنة مع أدب الأطفال الذي كتب في الضَّفَّة الغربيَّة، لاحظنا أن هناك آخر إسرائيليًّا أو فلسطينيًّا من أجل بناء الهويَّة وتكوينها. على سبيل المثال: ركَّزت قصص الانتفاضة الأولى (1987-1994) على صورة الآخر الإسرائيلي العنيف السَّلبي، مقابل صورة الفلسطيني البطل والضَّحيَّة والتي عرضت بشكل إيجابي. وكان هناك أيضًا آخر فلسطيني سلبي، وهو الغنيُّ الفلسطيني غير الدَّاعم للانتفاضة مقابل الفلسطيني الإيجابي، وهو ابن المخيَّمات وابن القرية المقاوم والمشارك في الانتفاضة (علينات، 2012). إن التَّماس مع الآخر يمكن أن يخلق صراعًا، ويمكن أيضًا أن يكون مجالًا للتَّطوُّر وتحسين الذَّات من خلال تحديد معالم الهويَّة الذَّاتيَّة بالنِّسبة للآخر. إنَّ أحد الأسباب لانتشار أدب الأطفال المكتوب في العالم العربي كان التَّماس بين الشَّرق والغرب، حيث ساهمت بريطانيا في القرنين الثَّامن عشر والتَّاسع عشر بنشر فكرة أدب الأطفال المكتوب من خلال مستعمراتها، حيث أدَّى ذلك إلى زيادة الوعي بمكانة الطِّفل في مجتمع متعدِّد القوميَّات وأصبح تحديد الهويَّة حاجة مجتمعيَّة. أما في إسرائيل، فكانت انطلاقة الكتابة للأطفال في سنوات الستينيات بسبب الشح في إنتاج قصص الأطفال. وقد ظهر هذا الشح جليا عند المقارنة مع إنتاج أدب الأطفال العبري الذي فاق بكثير الكتابة للأطفال العرب في إسرائيل. وعزز ذلك الوعي المجتمعي العبري بأهمية الكتابة للأطفال وقراءة الأطفال لهذه القصص. ويتذكر الكاتب محمود عباسي، من جيل المؤسسين للكتابة للأطفال، هذه المقارنة بعد زيارته لحفلة بلوغ لفتى يهودي إسرائيلي. لقد وجد عباسي معظم الهدايا التي أعطيت للفتى كانت قصصا للأطفال. وقارن ذلك مع شح الإنتاج للأطفال في مجتمعه العربي، فقرر أن يكتب للأطفال ليحصلوا على الكتب وليشجعهم على القراءة والمطالعة[1].

[1] مقابلة مع محمود عباسي بتاريخ 8.9.2012

مراحل تطوُّر أدب الأطفال الفلسطيني في الضَّفَّة وفي إسرائيل: سيرة متقاربة

خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين (1917-1948) برز بعض المربّين الفلسطينيّين في وزارة التَّعليم، أمثال خليل السَّكاكيني، الذين نادوا بضرورة ملاءمة اللُّغة العربيَّة لأجيال الأطفال المختلفة. كما بدأت حركة أدبيَّة لإنتاج قصص الأطفال والكتب التَّعليميَّة. واستمرَّ ظهور أكثر من 15 جريدة للأطفال بدأت منذ الفترة العثمانيَّة حتَّى عام 1948 مثل: مجلَّة السَّمير، باكورة صهيون، صوت الكلِّيَّة، مجلَّة مدرسة صهيون، مجلَّة كلِّيَّة ترسانة، مجلَّة دار الأيتام، المنبر، الكشَّاف، الغد، القافلة، المنتدى، مجلَّة الرَّابطة، مجلَّة اتِّحاد النَّوادي الأرثوذكسيَّة وغيرها. صدر معظم هذه المجلَّات في المدن المركزيَّة كحيفا والقدس، واعتنت بالهمِّ الوطني واللُّغة العربيَّة، عظَّمت التُّراث العربي وسعت إلى مواجهة الصُّهيونيَّة (مروة، 2005). وبعد حرب عام 1948، التي كان من نتائجها تهجير قسريٌّ للفلسطينيّين ومنهم شريحة المعلِّمين والمثقَّفين، إضافة إلى دمار المدن الفلسطينيَّة التي كانت تشكِّل المركز الثَّقافي والمعرفي، ومصادرة المكتبات والكتب البيتيَّة والعامَّة، ممَّا أثَّر على إنتاج أدب الأطفال على مستويين؛ أوَّلهما: التَّراجع عن الكتابة للأطفال وتفضيل الكتابة الشِّعريَّة لقدرتها على التَّعبير عن الشُّعور والوجدان، حيث اهتمَّ الكتَّاب بالشِّعر الذي تحدَّث عن النَّكبة والفقدان وضياع فلسطين وكان مخصَّصًا للكبار والصِّغار في آن واحد، ولم يتمَّ التَّمييز بين أدب الكبار وأدب الصِّغار. وخلال السَّنوات التي تلت النَّكبة، انشغل الأطفال بقصص الكبار الشَّفويَّة حول مدنهم وقراهم التي أخرجوا منها، فغلب الطَّابع الشَّفوي على الكتابي لقصص الأطفال (علينات، 2012؛ ناصر، 1989).

وفي بداية الخمسينيَّات بدأت تظهر بعض القصص. في إسرائيل صدر الكتاب الأوَّل عام 1954 وهو عبارة عن مسرحيَّة بعنوان **ظلام ونور** لميشيل حدَّاد وجمال قعوار إضافة إلى **ألحان الطالب** لجورج نجيب خليل، اتَّسمت بالطَّابع التَّعليمي والتَّهذيبي البحت (أبو فنّة وعزايزة، 1996). وصدرت في القدس ثلاث قصص للكاتب راضي عبد الهادي وهي: **سمة الشَّجاعة، فارس غرناطة، كوكو البطل**. وفي عام 1957 صدرت لعبد الرؤوف المصري

قصتان هما **رغيف يتكلَّم والأمُّ الطَّموحة**. وفي عام 1967 نشرت قصَّة لتوفيق أبو السُّعود باسم **الملك سيف بن ذي يزن**. وبين العامين 1967-1965 كتب فايز الغول ثلاث قصص وهي: **الدُّنيا حكايات، أساطير من بلادي وسواليف السَّلف**. وفي سنوات السِّتّينيَّات كتب توفيق زَيَّاد قصَّة **ديك الحجل** (بدون ذكر سنة الإصدار) التي نشرت في بيروت، ولكنَّها منعت من النَّشر من قبل الرَّقابة الإسرائيليَّة (مروة، 2006؛ الشَّعبي 2002). تتحدَّث القصَّة عن الدِّيك المتعاون مع الصَّيَّاد لاستدراج إخوانه من ديوك الحجل. ومن الواضح اشتمال القصَّة على انتقاد لشخصيَّة المتعاون الفلسطيني مع السُّلطات الإسرائيليَّة ضدَّ إخوانه.

وكانت الظُّروف الصَّعبة ممَّا ميَّز العقود الأولى لأدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل ومنها: كارثة النَّكبة، الوضع الاقتصادي السَّيِّئ، الأمِّيَّة، عدم القدرة على التَّعبير بسبب الحكم العسكري، عدم وجود الوعي لدى الأهل والمربِّين، ترفُّع الأدباء الكبار عن الكتابة للصِّغار، القطيعة بين إسرائيل والدُّول العربيَّة حيث لم يكن هناك مجال للتَّعرُّف على إنتاج العالم العربي، وقد بدا هذا الوضع بالتغيُّر بعد حرب عام 1967 وانفتاح الفلسطينيِّين في الدَّاخل على العالم العربي. (أبو فنِّة، 1996)

وتركِّز الأدبيَّات على أن انطلاقة أدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل كانت في سنوات السِّتّينيَّات، حيث أصدر الكاتب محمود عبَّاسي والشَّاعر جمال قعوار 15 كتابًا للأطفال، قاما بطباعتها بأنفسهما وتوزيعها على المدارس بأسعار رمزيَّة ليتسنَّى لطلَّاب المدارس قراءتها. وممَّا يميِّز هذه القصص كونها تركِّز على التَّاريخ الإسلامي العربي القديم، إضافة إلى النَّماذج الإنسانيَّة العامَّة والقصص الشَّعبيَّة المحلِّيَّة؛ تهدف هذه القصص إلى التَّعليم والتَّرفيه، وفيها نوع من الوعظ والعودة إلى الماضي[1]. كما أنتجت 24 قصَّة أخرى منها للكتَّاب: مصطفى مرَّار، سليم خوري، عبد اللَّطيف ناصر، حبيب كركبي. وبدأت تظهر صحافة الأطفال عام 1960 مثل **اليوم لأولادنا** التَّابعة لحزب العمل الإسرائيلي (أبو فنِّة، 1996).

1- مقابلة مع محمود عبَّاسي بتاريخ 8.9.2012.

في سنوات السِّتّينيَّات والسَّبعينيَّات، شهد الفلسطينيُّون في الشَّتات نشاطًا ثقافيًّا داعمًا لأدب الأطفال، من خلال تأسيس مؤسَّسات لدعم أدب الأطفال الفلسطيني، لنشر معاناة الفلسطينيّين في العالم العربي، مثل دار الفتى العربي التي تأسَّست في بيروت في عام 1973. وأثَّر المدُّ القومي النَّاصري في تلك الفترة على روح الوحدة العربيَّة التي سرت في البلدان العربيَّة. كما تأسَّست دار النَّورس في بيروت عام 1979. وأقفلت المؤسَّستان في بدايَّة الثَّمانينيَّات على إثر خروج منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة من لبنان عام 1982. وفي الثَّمانينيَّات مع انتقال منظَّمة التَّحرير إلى الجزائر، قوي العمل الثَّقافي الفلسطيني في الأردن وانتقلت لهناك عمليَّة الكتابة للأطفال. أمَّا في سنوات الثَّمانينيَّات والتِّسعينيَّات فقد شهدت المناطق الفلسطينيَّة المحتلَّة عام 1967 نماءً مؤسَّساتيًّا، مثل: مؤسَّسة تامر للعمل المجتمعي، مؤسَّسة أوغاريت مؤسَّسة الطُّفولة المبكِّرة وغيرها من أجل رفع مكانة أدب الأطفال الفلسطيني. كما وبدأ الفلسطينيون في الدَّاخل بإنشاء مراكز ومجلَّات لأدب الأطفال مثل: مجلَّة الحياة للأطفال التي تأسَّست عام 1985 في حيفا ولا تزال تصدر حتَّى اليوم، مركز كامل الكيلاني لأدب الأطفال في الكلِّيَّة الأكاديميَّة بيت بيرل الذي أغلق عام 2006، مركز أدب الأطفال القطري في النَّاصرة، مركز أدب الأطفال في الكلِّيَّة الأكاديميَّة حيفا، مركز أدب الأطفال في كلِّيَّة القاسمي، مركز ثقافة الطِّفل في مؤسَّسة الأسوار في عكَّا، ومركز مدرسة إبراهيم طوقان وغيرها. وقامت مؤسَّسة أجيك للنُّهوض بالمرأة البدويَّة في النَّقب بتوثيق بعض قصص التُّراث البدوي للأطفال وتحويله من تراث شفوي لمكتوب ومفتوح أيضًا للأطفال غير البدو. كما أنَّه من الملاحظ وجود نشاط أدبي للأطفال من خلال مجلَّة إشراقة التَّابعة للحركة الإسلاميَّة الشَّماليَّة في مدينة أمِّ الفحم، التي تصدر مجلَّة إشراقة للصِّغار، والتي تركِّز على الكتابة للأطفال من منظور إسلامي.

ويجد المتابع لنشاط هذه المراكز أنَّها تركِّز على دعم نشر قصص الأطفال واقتنائها في مكتبة واحدة. إلَّا أنَّها على الأغلب لا توجد معايير واضحة لاختيار قصص الأطفال ونشرها، حيث تتفاوت قصص الأطفال في مستوياتها ومضامينها. ولا يخلو الأمر من تكرار لبعض المواضيع

مثلًا: قصص المحافظة على الأسنان والنَّظافة الشَّخصيَّة، ظواهر الاعتداء على الأطفال، عبور الشَّارع، وقصص أخرى تركِّز على مواضيع تخصُّ روضة الأطفال، حيث تعمل على تطوير ملكة الطِّفل اللُّغويَّة أو المعلومات، مثل فصول السَّنة وعلاقة الطِّفل بالحيوان والبيئة. ويمكننا القول إن معظم القصص التي كتبت في السَّنوات الأخيرة مخصَّصة لروضات الأطفال أكثر منها قصصًا لجيل المراهقة.

لقد زاد الاهتمام بأدب الأطفال في السَّنوات الأخيرة، إلَّا أنَّ الأمر لا يخلو من تحدِّيات، حيث انتقد بعض الأدباء ظاهرة المتاجرة بقصص الأطفال على حساب المضمون، وطالبوا بتأسيس لجنة وطنيَّة تقيِّم قصص الأطفال قبل عرضها في الأسواق. ووصف بعض الأدباء أنفسهم بضحايا السُّوق، حيث تتحكَّم دور النَّشر في إنتاجهم. إذ يضطرُّ الأديب إلى نشر قصَّته على حسابه الخاصِّ. أمَّا التَّحدِّي الآخر فيتعلَّق بسياسة وزارة التَّربية والتَّعليم الإسرائيليَّة تجاه الفلسطينيِّين في إسرائيل. حيث تتماشى الغالبيَّة العظمى من القصص التي توزَّع في المدارس العربيَّة مع سياسة الوزارة في عدم إبراز مفهوم الهويَّة الفلسطينيَّة في المدارس. ومن هنا شكَّل ذلك مراقبًا ذاتيًّا لدى الكتَّاب الذين أرادوا لقصصهم أن توزَّع من خلال وزارة التَّربية والتَّعليم الإسرائيليَّة. بينما القلَّة من الكتَّاب الذين ابتعدوا عن هذا النهج وأنتجوا قصص أطفال تعالج قضايا وطنيَّة، فقد قاموا بنشر قصص على حسابهم الخاصِّ، ونجد من خلال متابعة قصصهم أنَّه كانت لديهم حرِّيَّة أكبر في التَّعبير عن القضايا السِّياسيَّة والاجتماعيَّة التي تشغل الفلسطينيِّين في إسرائيل، نذكر منهم الكاتبين: يعقوب حجازي وميسون أسدي، حيث سنورد لاحقًا بعض قصصهم خلال مناقشة مميِّزات الجيل الثَّاني المنتج لأدب الأطفال.

ملامح الجيل المؤسِّس لأدب الأطفال

تركّز قصص الجيل المؤسِّس الذي كتب في سنوات ما بعد النَّكبة في إسرائيل (من السِّتّينيَّات وحتَّى أواخر الثَّمانينيَّات) على مواضيع اجتماعيَّة تتعلَّق بوصف الفقر من جهة، ومن جهة أخرى الحديث عن التَّعليم كهدف أسمى على الجيل الشَّابِّ أن يسعى من أجله. معظم هذه القصص معدَّة للفتيان من طلَّاب الإعداديَّة والثَّانويَّة أكثر منها للصِّغار في جيل الطُّفولة المبكِّرة. ربَّما كان السَّبب في ذلك هو النَّظرة إلى الفتيان على أنَّهم الجيل الذي يحمل الهمَّ ويستطيع أن يتفهَّم هذا النَّوع من قصص الأطفال. كما أن بعض الأدباء أرادوا شحن هذا الجيل بالهمَّة العالية لمواصلة تعليمه، وأيضًا من أجل تربيته لتقبُّل موقع الوالدين كشخصيَّات ذات هيبة وموقع في العائلة، لا يجدر بالشَّابِّ التَّمرُّد عليهما، وأيضًا قبول توقُّعات الأهل والنَّجاح في المدرسة التي تعتبر في قصص كثيرة، الجسر إلى المستقبل المنشود. من ناحية الشَّكل الخارجي، ينقص معظم هذه القصص الصُّور الملوَّنة والتَّصميم الجذَّاب الذي نجده في قصص الجيل الثَّاني. وقد يعود ذلك إلى موانع اقتصاديَّة التي حالت دون تفتُّح أدب الأطفال والاستثمار به.

تبرز المدرسة في قصص تلك الفترة كحيِّز من خلاله يتعلَّم الطَّالب القيم المختلفة مثل الصَّداقة، الأمانة، الاجتهاد وغيرها. كما يحظى المعلِّم بهيبة وصلاحيَّة اجتماعيَّة في تربية الأطفال ويتقبَّله الأطفال كمصدر للمعرفة والتَّربية. ففي قصَّة **سامي الكسلان** للكاتبين محمود عبَّاسي وجمال قعوار التي نشرت عام 1963، والتي تنتقد كسل طالب المدرسة سامي الذي لا يطيع والدته أو معلِّمه، ولا يحبُّ مدرسته أو يهتمُّ بدروسه، كما أنَّه طالب يشاكس زملاءه، فيضربهم ويرميهم بالحجارة ولا يحافظ على نظافة ملابسه، كما أنَّه لا يتعامل مع الحيوانات المنزليَّة بطريقة ملائمة. هذه الصِّفات السَّلبيَّة التي عرضتها القصَّة لشخصيَّة البطل، إنما تصف بشكل غير مباشر الصِّفات السَّلبيَّة للطِّفل غير المرغوب به اجتماعيًّا. ومن هذا المنطلق، كان أساس التَّعامل التَّربوي الذي اعتمده الكاتبان هو العقاب. فمن لا يتحلَّى بالصِّفات الإيجابيَّة يستحقُّ العقاب، ويبدو أن هذه الطَّريقة كانت

متَّبعة وقتها، والتي انتهجها الأهل والمربُّون من أجل ترويض الأطفال. الحيوانات المنزليَّة هي من قامت بهذا العقاب، عندما قرَّر سامي عدم الوصول إلى المدرسة، قامت الحيوانات بتأديبه من خلال رشِّ المياه وضرب الحجارة. فما كان من هذا العقاب إلَّا أن آتى أكله، فسامي يعتذر لوالدته عن سوء تصرُّفاته، ويعدها بأن يكون طفلًا مؤدَّبًا وألَّا يهرب من المدرسة. فما كان من أمِّه إلَّا أن احتضنته وأعطته الحلوى.

تركِّز هذه القصَّة على أهميَّة التَّعليم. أمَّا الأسلوب التَّربوي الذي تنتهجه فهو الوصاية على الطِّفل، فإن لم يمتثل للنَّصائح فله العقاب، وتظهر القصَّة أنَّ العقاب له مفعول إيجابي ويمكن أن يساعد في تغيير سلوك الطِّفل.

هذه القصَّة موجَّهة نحو قيم تربويَّة معيَّنة وتعتمد التَّرغيب والتَّرهيب معًا من أجل تغيير سلوك الطِّفل نحو الأفضل. أمَّا الأفضل هنا فهو الدِّراسة وطاعة الوالدة والمعلِّم، والحفاظ على النَّظافة الشَّخصيَّة ومعاملة الحيوانات وزملاء الصَّفِّ بالحسنى.

نموذج آخر لقصَّة تعزِّز مكانة الأب، هي قصَّة للكاتب مصطفى مرَّار، **أنا والدَّار الجديدة** التي نشرت ضمن مجموعة قصصيَّة اسمها **التِّين والشَّياطين** عام 1974. تتناول القصَّة طاعة الابن لأبيه الذي يطلب منه أن يترك مدرسته للعمل وبناء دار جديدة وحديثة تناسب عصر السَّبعينيَّات. فما كان من الابن إلَّا أن أطاع أباه، ولكنَّه في الوقت ذاته، عمل ساعات إضافيَّة لجني المال من أجل الدِّراسة بعد الظُّهر. ولمَّا اكتشف الأب نشاط ابنه وعده بأنَّه سيسانده في إتمام تعليمه الثَّانوي والجامعي حتَّى ولو كان ذلك على حساب بيع الدَّار الجديدة.

تضيف هذه القصَّة بعدًا هامًّا للعلاقة بين الأب والابن، وهو مساهمة الأبناء في تحسين الوضع الاقتصادي لأهاليهم، وهذا يعبِّر عن حالة الفقر التي كانت سائدة في المجتمع في تلك الفترة. تعرض هذه القصَّة، كما غيرها من قصص مصطفى مرَّار، حالة الانتقال من البناء القروي إلى البناء الحديث الذي شهدته القرية العربيَّة في سنوات السَّبعينيَّات. حيث يتغيَّر المجتمع العربي ويتحوَّل إلى مجتمع أغلبيَّته من العمَّال في البناء وشقِّ الطُّرق. يمكننا أن

نرى هذا الانتقال جليًّا في قصَّة **التِّين والشَّياطين** التي نشرها مرَّار عام 1974، حيث خرج الطِّفل مع أخته لقطف التِّين في ساعات الفجر، إلَّا أنَّه تخيَّل أعمدة الهاتف أشباحًا ومردة وشياطين، فيؤدِّي ذلك إلى وقوعه على الأرض. هذه القصَّة تظهر حالة الصَّدمة التي عاشتها القرية العربيَّة بين التِّكنولوجيا والحداثة مقابل أنماط القرية العربيَّة التَّقليديَّة في تلك الفترة. قصَّة أخرى للكاتب مرَّار هي **أبو رجل مسلوخة** من مجموعة **التِّين والشَّياطين** التي نشرت عام 1974، والتي ينتقد فيها الكاتب الأساطير والعادات التي تقدِّس الجنَّ والشَّعوذة والخوف التي تميَّز بها القرويُّون العرب وقتها، مقابل الحداثة والعلم التي مثَّلتها سلطة الآثار الإسرائيليَّة، التي رمَّمت قلعة أثريَّة كان القرويُّون يخافون ارتيادها ظنًّا منهم أنَّها تحوي شبحًا لرجل ذي رجل مسلوخة، ونسجوا حولها الأساطير. عكس الأب نظرة سلطة الآثار التي أرادت ترميم المبنى، من أجل طرد الأفكار السَّلبيَّة لدى الجيل الكبير. وفي هذا تقبُّل لجيل الآباء لفكرة الحداثة مقابل رفضهم للأساطير التي اتَّبعها الأجداد. ومن خلال رواية الأب لابنه، ونقل وجهة نظره الإيجابيَّة تجاه الحداثة، نجده ينقل عمليًّا توقُّعاته للجيل الشَّابِّ، بأن يتبنَّى أنماط الحداثة الإسرائيليَّة ونبذ أفكار الأجداد الأسطوريَّة.

معظم قصص الجيل المؤسِّس تساهم في دعم صورة إيجابيَّة للوالدين في نظر أولادهم، حيث يتوقَّع من جيل الأبناء طاعة آبائهم وتجسيد توقُّعاتهم في النَّجاح. سليم خوري، هو أحد الكتَّاب الذين عرضوا بعض هذه المسلَّمات الاجتماعيَّة بصورة نقديَّة. فقصَّة **أجنحة العواطف** التي كتبها خوري ونشرت عام 1967، تعكس توتُّر العلاقة بين الأب وابنه، وتنتقد جليًّا العنف الذي مارسه الأب تجاه ابنه، الذي فكَّر بالهرب من قريته الجليليَّة إلى مدينة حيفا، من أجل البدء بحياة جديدة بعيدًا "عن قسوة أبيه وعن مجتمعه الذي علَّمه الكذب". وفي هذا انتقاد واضح لمجتمع القرية المداهن وللأب العنيف، الذي يرفض الطِّفل قسوته. من خلال شهادة المدرسة التي يكذب الطِّفل بصددها، خوفًا من عقاب أبيه، يعبِّر الكاتب عن الفجوة بين الأب وابنه الذي لا يلبِّي توقُّعاته، وتعكس أيضًا الحاجة للكذب من

أجل مراضاة المجتمع، وهي ظاهرة ينتقدها الكاتب من خلال إبراز الطِّفل كضحيَّة اجتماعيَّة. كما وتعكس القصَّة الصِّراعات الدَّاخليَّة التي تعتمر في نفس الطِّفل، وهو يركب الباص بعيدًا عن القرية وعاداتها وتقاليدها، لكنَّه بالمقابل يصطدم بالمدينة الواسعة والمضيئة، ولكنه لا يعرف فيها أحدًا فيسقط صريع المرض. وخلال تلك الفترة، وأثناء البحث عن الصَّبيّ الضَّائع يلوم الأب نفسه على قسوته، وتخاف زوجة الأب على نفسها من انتقاد المجتمع لها فتبالغ في العويل والبكاء. وينجح الكاتب في تصوير الصِّراعات الدَّاخليَّة لشخصيَّاته ليصل إلى نهاية سعيدة، حيث تعثر الشُّرطة على الطِّفل وتعيده إلى القرية. ويفرح الطِّفل لعودته إلى حضن قريته الدَّافئ، حيث يشهد اهتمام أهله وأبناء قريته به، فيتعزَّز بذلك انتماؤه لقريته المحليَّة، ونفوره من المحيط الغريب في المدينة، وإن كان عصريًّا، إلَّا أنَّه لا يجيب على احتياجات الطِّفل الذي شعر بالغربة هناك. ويمكن للمدينة أن تعبِّر عن عدَّة فجوات: فجوة طبقيَّة بين أغنياء المدن وفقراء القرى، فجوة ثقافيَّة بين الحداثة والتَّقليديَّة القرويَّة، وفجوة أخرى بين العرب أبناء القرى واليهود أبناء المدن.

ومن الملفت للانتباه، وأنَّه على الرَّغم من تحاشي معظم أدباء تلك الفترة التَّطرُّق إلى الحكم العسكري وجنده من العسكر والمخبرين بطريقة مباشرة ونقديَّة، إلَّا أنَّ هذه القصَّة عرضت الشُّرطة من منظورين: أوَّلهما متشكِّك، حيث تخوَّف الطفل من أسئلة الشُّرطي الذي أراد التَّحقُّق من هويَّته، وثانيهما ذي دور إيجابي، حيث ساهمت الشُّرطة في إيصال الطِّفل إلى بيته وأهله، وهذا الدَّور قلَّما وجد في قصص تلك الفترة.

لقد ظهرت صورة الجندي العنيف في قصَّة من مجموعة قصص **أنا لا** للكاتب عبد اللَّطيف ناصر التي نشرت عام 1982. تميَّز ناصر بخطابه النَّاقد واللَّاذع بطريقة مباشرة للحكم والعنف الذي يواجهه المواطنون العرب من قبل السُّلطة الإسرائيليَّة. ويبدو أنَّ لدور الكاتب السِّياسي في الحزب الشُّيوعي تأثيرًا على وعيه السِّياسي ونظرته للقضيَّة الفلسطينيَّة وانتقاده للسُّلطة، ليس في إسرائيل فحسب، إنَّما أيضًا في الدُّول العربيَّة المجاورة التي تعيش فجوات اقتصاديَّة هائلة، بين الفقر والحرب في لبنان والتَّرف والبذخ في دول الخليج،

وعرض ذلك من خلال **الرَّبُّ واحد**. أمَّا ظلم الفلسطينيّين في المخيَّمات في الأردن على أيدي النِّظام فقد عرض في قصَّة **الملك القزم**. أمَّا قصَّة **أنا لا** فتعالج بشكل صريح علاقة القهر التي يعانيها المواطن العربي من قبل الجنود الإسرائيليّين، حينما يعبّرون عن مواقفهم ويذكرون نكبتهم. وتظهر القصَّة ضرب رجال الأمن طفلًا شارك في مظاهرة في شهر أيَّار أمام شاشات التِّلفاز. وتتناول القصَّة عدَّة مستويات للقهر، الجسدي والفكري والسِّياسي، ليس فقط بين القاهر (السُّلطة) والمقهور (المواطن)، إنَّما أيضًا داخل فئة المقهور هناك مستويات ثانويَّة للقهر. حيث يقوم جهاد، بطل القصَّة، وهو الطِّفل المضروب في المظاهرة بالتَّصدِّي لمحاولة القهر الاجتماعي الدَّاخلي التي يمارسها أحد الأطفال الآخرين عليه، من خلال السُّخرية منه. يعرض الكاتب نوعي القهر في ذات الوقت:

"ألم تر كيف ضربوا الشَّابَّ، لقد أمسكوا بشعره وضربوا رأسه بزجاج السَّيَّارة.. أتعرف لم ينكسر زجاج السَّيَّارة كما أنَّ رأسه لم يجرح.. ألم تسمع الجندي وهو يقول لي: روخ ع البيت؟" (ص. 13- 14).

أمَّا المواجهة الذَّاتيَّة فكانت عندما أخذ جهاد المبادرة وشرح لابن جلدته السَّاخر منه، حيث يجعله يرتبك:

"يا عيبك.. ألم تعرف أيَّة مظاهرة التي نقوم بها في شهر أيَّار نحن أبناء الشَّعب الفلسطيني؟ لماذا تتكلم كثيرًا وأنت لا تعرف شيئًا عن تاريخ بلادك وشعبك؟ حتَّى هذه المناسبة الكئيبة التي نتذكَّرها في شهر أيَّار.. لم تعرف عنها شيئًا" (ص. 17).

عندما ينجح جهاد في إسكات الصَّوت المتخاذل داخل مجتمعه يستمرُّ في قوله: "نجوت من الضَّرب وكانت لي تجربة مهمَّة على الرَّغم من أنّي بكيت، قل لي ماذا أنت فعلت؟ وماذا ستفعل إذا عرفت ما هي المناسبة التي نتظاهر بسببها كلَّ سنة من شهر أيَّار؟"(ص. 17).

أمَّا عن دور الآباء في نقل الرِّواية التّٰاريخيَّة حول النَّكبة الفلسطينيَّة التي تحدَّث عنها الكاتب من خلال بطله جهاد الواثق من نفسه "وبلهجة المنتصر"، فيقول: "المهمُّ أنّي عرفت واشتركت، ولا يهمُّ إذا عرفت ذلك لوحدي أو قال لي أخي الأكبر أو أبي.. وهل في ذلك عيب

أن نتعلَّم أو نعرف الأشياء من الكبار؟ وهل وظيفة الكبار هي غير ذلك؟ في أنهم يجب أن يعلِّموا الصِّغار كلَّ ما يجب أن يعرفوه، خاصَّة عن بلادهم وشعبهم؟ بحياتك قل لي ماذا تعرف عن شعبك؟ ماذا تعرف عن وطنك؟ ماذا تعرف عن القضيَّة؟" (ص. 18).

تعكس القصَّة من خلال عنصر التَّشويق عزَّة النَّفس التي يمتاز بها الفلسطيني الذي يقاوم سياسة القهر، وعلى الرَّغم من أنَّ الكاتب ليس من ذوي الخلفيَّات الدِّينيَّة، إلَّا أنَّه يستعمل اسم جهاد، الذي له قدسيَّة دينيَّة، فيقوم بتحويله إلى جهاد مدني للتَّعبير عن الذَّات والهويَّة.

نمط آخر نجده في التَّعبير عن الهمِّ الوطني وعلاقته بالسُّلطة، من خلال بعض المسرحيَّات التي عرضت في المدارس العربيَّة، والتي تحكي قصَّة السُّلطان والوزير والمواطن، من خلال شخصيَّات خياليَّة أو تاريخيَّة. وبذلك فهي تصوِّر علاقة المواطن الفلسطيني بالسُّلطة الإسرائيليَّة التي تتوسَّطها شخصيَّة الواشي وهي تتَّسم بالشَّكِّ والظُّلم. فالسُّلطان يشكِّك في الرَّعيَّة، والوزير يؤكِّد شكَّه والنَّتيجة هي ظلم السُّلطان للرَّعيَّة وعدم سماع صوتهم. وفي الوقت الذي يسمح فيه السُّلطان للرَّعيَّة بالحديث، يكتشف كذب وزيره وصدق مطالب رعيَّته فيقيم العدل. وكأنَّنا بكتَّاب القصَّة يتبنُّون فكرة قصص **كليلة ودمنة** التي تتحدَّث فيها شخصيَّة الحيوانات عن العلاقات الإنسانيَّة فيما بينها وبين السُّلطان ولكن بالاستعانة بالرُّموز ودون التَّطرُّق المباشر. وعلى سبيل المثال: ففي مسرحيَّة **وفاء أمّ** للكاتب محمود عبَّاسي التي نشرت عام 1982، تدافع أمُّ حسن عن ابنها المسجون لدى السُّلطان بوشاية من الوزير، الذي يقنع السُّلطان بأنَّ حَسَنًا يشكِّل تهديدًا على المملكة. ويقنع الوزير السُّلطان بالزَّواج من خطيبة حسن التي ترفض ذلك قطعًا. وفي نهاية المسرحيَّة تستطيع الأمُّ إقناع السُّلطان بإطلاق سراح ابنها عندما تفقد بصرها بنفسها حتَّى يفي السُّلطان بوعده. تمثِّل الأمُّ الوطن الذي يربِّي أبناءه على الحرِّيَّة والكرامة والمروءة. وتقوم الأمُّ بإيصال رسالة للسُّلطان مفادها أنَّ عليه ألَّا يكون ظالمًا وألَّا يعتمد على وشاية الوزير، ويستجيب السُّلطان لهذا الطَّلب فيخلي سبيل الابن ويعاقب الوزير الواشي.

وفي السِّياق ذاته، يظهر كتاب "**أنا مواطن إسرائيلي**" الذي ألَّفه مصطفى مرَّار ونشره عام 1954، وهو كتاب تدريس على شكل قصَّة تتنقَّل أحداثها من موقع لآخر في البلاد، وتعكس حالة التَّطوُّر الصِّناعي والحضاري التي وصلتها البلاد، والتي ينبهر بها طلَّاب المدارس العربيَّة. كما أنَّها تشير إلى تنوُّع الطَّوائف والدِّيانات التي تتعايش مع بعضها بسلام ووئام. يقول مصطفى مرَّار في لقاء معه حول هذا الكتاب :" أنا لا أفخر كثيرًا به وقد واجهت انتقادات من بعض الكتَّاب في تلك الفترة بسببه"[1].

لم تكن قصص الأطفال والشَّبيبة التي تناولها جيل الكتَّاب المؤسِّسين بمعزل عن الحياة السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة التي عاشها المجتمع الفلسطيني منذ عام 1948 وحتى نهاية سنوات الثَّمانينات. لقد تمَّ التَّركيز على القواسم والهموم الاجتماعيَّة المشتركة التي عاشها أبناء القرى من الفقر والعوز، وطموح جيل الآباء بأن يحمل أبناؤهم العلم ليبنوا مستقبلًا أفضل. وركَّزت أغلبيَّة القصص على أهميَّة طاعة جيل الآباء وعدم التَّمرُّد عليهم لأنَّهم يضحُّون من أجل أبنائهم. أمَّا على المستوى السِّياسي، فعلى الرَّغم من القيود السِّياسيَّة قبل وبعد الحكم العسكري الذي انتهى رسميًّا عام 1968، إلَّا أنَّه لم ينته فعليًّا لا من ناحية الدَّولة في تعاملها مع مواطنيها العرب ولا من ناحية العرب أنفسهم في رقابتهم الذَّاتيَّة. إلَّا أنَّ الأدباء حاولوا من خلال أدب الأطفال التَّطرُّق إلى علاقتهم مع الدَّولة من عدَّة جوانب: كونها قاهرة للحرِّيَّة يخافها المواطن أو يتحدَّاها، أو مصدرًا للتَّمدُّن والعصريَّة التي يريد المواطنون اللَّحاق بركبها وتقليدها كمصدر للحضارة. ويمكن لنا أن نفهم هذه الازدواجيَّة في التَّعامل مع الآخر الإسرائيلي من خلال علاقات القوَّة غير المتكافئة بين الإسرائيلي القوي والقاهر وبين الفلسطيني الضَّعيف المقهور، الذي يحاول الصُّمود على أرضه، من خلال التَّمرُّس بين قطبي المواجهة والانتماء. مواجهة القوي بانتقاده والاعتزاز بهويَّته القوميَّة وإن كانت محلِّيَّة، والانتماء إليه من خلال تقبُّل قيم الحداثة، من خلال الاستهلاك والسَّعي إلى التَّطوُّر المادِّي.

1 - مقابلة مع مصطفى مرَّار بتاريخ 3.9.2012.

يمكن مقارنة هذه المضامين مع أدب الأطفال الفلسطيني الذي نشر في الضَّفَّة الغربيَّة في سنوات الثَّمانينات التي شهدت أيضًا حكمًا عسكريًّا وانتفاضة شعبيَّة عام 1987. إنَّ مضامين أدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل في مجالها السِّياسي والاجتماعي لا تنتقد الإسرائيلي بشكل واضح، كما أنَّها لم تتطرَّق لأحداث يوم الأرض عام 1976 والمواجهة مع السُّلطة على خلفيَّة مصادرة الأراضي كما تتطرَّق لها القصص من الضَّفَّة الغربيَّة. بينما نجد في قصص الانتفاضة في الضَّفَّة الغربيَّة (1987-1994) تعاملًا واضحًا مع الاحتلال الإسرائيلي ووصفًا للمواجهات المباشرة بين الطَّرفين الفلسطيني والإسرائيلي. حيث يوصف الفلسطيني بالبطل المقاوم ولكنَّه أيضًا الضَّحيَّة، بينما الإسرائيلي فإنَّه يوصف بالعنيف على الأغلب الذي يقهر الأطفال ويسلب منهم فرحتهم وحرّيَّتهم. كما تنتقد قصص الانتفاضة الأولى في الضَّفَّة الغربيَّة الجيل الكبير وتعتبره فاقدًا لصلاحيَّة القيادة، بينما يقود الصِّغار أحداث الانتفاضة ويشكِّلون أبطالها (علينات، 2012).

ملامح الجيل الثَّاني للكتابة للأطفال

بدأ الجيل الثَّاني نشاطه في نهاية الثَّمانينيَّات من القرن العشرين وهو مستمرٌّ حتَّى يومنا هذا. يمتاز بكثرة الإصدار مقارنة مع الجيل المؤسِّس من ناحية كمِّيَّة القصص وعدد المؤلِّفين الذين معظمهم من النِّساء. منهم من كتب القصَّة الواحدة ثمَّ انقطع، ومنهم من كتب مجموعة قصص على فترات متباعدة. ومنهم من كتب للكبار ومن ثمَّ توجَّه للكتابة للأطفال. ومنهم من عمل في سلك التَّدريس وخاصَّة روضات الأطفال، فقام بالكتابة للأطفال من أجل إثراء مكتبات روضات الأطفال. ومنهم من استجاب لطلبات من وزارة التَّربية والتَّعليم الإسرائيليَّة وكتب قصصًا تهمُّ الجوانب التَّعليميَّة والتَّربويَّة والتي تتماشى مع سياسة الوزارة.

وتركّز أغلبيَّة قصص الجيل الجديد أو الجيل الثَّاني على أحداث أو مواقف من عالم الطُّفولة المبكّرة. وعلى الرَّغم من أنَّه لا تذكر أعمار الأطفال الذين تخصَّص لهم هذه القصص إلَّا أنَّنا يمكن أن نستنتج أعمار الأطفال من خلال أبطال القصص الذين لا يتجاوز عمر معظمهم العشر سنوات.

وعلى الرَّغم من نشر مئات قصص الأطفال إلَّا أنَّنا نلاحظ نمطيَّة معيَّنة في هذه القصص، حيث تتكرَّر بعض المواضيع دون إبداع أو إضافة نوعيَّة. حيث تتكرَّر حبكات القصص التي تتعلَّق بالحيوانات والطَّبيعة، حيث تمدُّ الطِّفل بالمعلومات عن بيئته. وهناك القصص التي تتناول نظافة الطِّفل وفرشاة الأسنان أو تسوُّس الأسنان أو زيارة طبيب الأسنان. مضمون آخر نجده متكرِّرًا بعدَّة صيغ وهو خروج حيوان ما عن مسار القطيع وتعرُّضه للخطر من قبل حيوان مفترس ما، ثمَّ النِّهاية السَّعيدة بإنقاذ الحيوان الطِّفل من مأزقه عن طريق شخصيَّة بالغة، أو قصص تتحدَّث عن ولادة طفل جديد وغيرة أخيه أو أخته منه. وهناك نوع من القصص العلاجيَّة التي تتناول خوف الأطفال أو ضرورة حفاظ الطِّفل على جسده، وعدم السَّماح للغرباء والآخرين بالاقتراب من جسده. ونحن لا نقلِّل من أهمِّيَّة هذه المواضيع بالنِّسبة لعالم الطِّفل، ولكن في اعتقادنا أنَّ أطفال القرن الواحد وعشرين لديهم

اهتمامات أخرى يجدر التَّركيز عليها تتعلَّق بالتَّعامل مع القيم في ظلِّ التَّطوُّر التِّكنولوجي، حيث أصبح الطِّفل ذاته مستهلكًا للتِّكنولوجيا ووسائل الإعلام والاتِّصال المختلفة.

لقد شهد العالم بعد سقوط الاتِّحاد السُّوفييتي في أواخر الثَّمانينيَّات وعلوِّ نجم الولايات المتَّحدة كقطب واحد في العالم إعادة خلق مفاهيم وقيم. ومن أبرز هذه القيم، قيم ما بعد الحداثة التي تتَّسم بالنُّزوع نحو الفرديَّة والخصوصيَّة كمنهج في الحياة والتَّربية. نجد ذلك قائمًا على مستوى الأفراد والجماعات. حيث يكون الفرد مستقلًّا بذاته وتقع شخصيَّته واحتياجاته وأفكاره في المركز. ومن جهة أخرى كان على المجموعات أن تحافظ أيضًا على خصوصيَّتها الثَّقافيَّة حتَّى لا تداس تحت عجلة العولمة. لقد كان لهذه القيم تأثير كبير على شعوب العالم بشكل عام، ومن ضمنهم الفلسطينيِّين وخاصَّة أنَّهم يعيشون في دولة تتبنَّى القيم الغربيَّة

ومن خلال متابعة قصص الأطفال التي كتبت في المجتمع الفلسطيني في إسرائيل، نجد أنَّ مضامينها قد ركَّزت على احتياجات الطِّفل وخصوصيَّته من خلال وضعه في مركز أحداث القصص أو الأشعار. فنجد على سبيل المثال المجموعات الشِّعريَّة للكاتب فاضل جمال علي، أولاها كانت بعنوان **خدِّي كالورد** التي نشرت عام 1995، ومن ثمَّ مجموعة **لي الدُّنيا** التي نشرت عام 1996. ثمَّ مجموعة **إنسان** التي نشرت عام 2011. من خلالها جميع هذه المجموعات تحدَّث الطِّفل بلغة الأنا، دون وساطة الآباء والأمهات والمربِّين، معبِّرًا عن ذاته وعن احتياجاته الخاصَّة. يتقمَّص الكاتب شخصيَّة الطِّفل فيسبر أعماقها متحدِّثًا عن طموحه في الحصول على حيِّزه الخاصِّ من أجل التَّفكير، طالبًا من الأهل والمجتمع تفهُّمه. وللطِّفل أيضًا انتقاد على طريقة تربيته من قبل والده الذي يتعامل معه بطريقة ازدواجيَّة، فمن جهة يطلب منه أن لا يسبَّ أمامه، ومن جهة أخرى هو بذاته يقول ألفاظًا بذيئة.

واستمرارًا لهذا النَّهج التَّربوي من أجل تطوير شخصيَّة مستقلَّة للطِّفل، نجد في قصَّة **تفَّاحة جلال**، للكاتبة ميسون أسدي من عام 2012، طرحًا نقديًّا للمجتمع ممثلًا في المدرسة التي لا تستوعب الطَّالب المبدع. وبدلًا من تنميته، تقوم المدرسة بقمعه لأنَّها لا

تملك الأدوات اللَّازمة للتَّعامل مع تفكير الطَّالب غير الموجَّه. وتعرض الكاتبة هذا الموضوع بطريقة ساخرة وناقدة. حيث تستدعي مديرة المدرسة والدي الطِّفل جلال معلنة منذ البداية أنَّه طفل "غير مرغوب فيه" في المدرسة. وتذكر المديرة المواقف التي دفعتها لهذا القرار استنادًا إلى ملاحظات معلِّميه. فالطَّالب يومًا أجاب معلِّمته أنَّ الشَّيء الذي يستطيع أن يمرَّ عبر الزُّجاج دون كسره هو الشَّخصيَّة الدِّراميَّة كاسبر، فتصحِّحه المعلِّمة وتقول إن ذلك هو الضَّوء. تبتسم الأمُّ وتخبر المديرة، التي لا تعرف عن هذه الشَّخصيَّة الكرتونيَّة التِّلفزيونيَّة، أنَّ كاسبر عبارة عن روح صبيٍّ تخترق الزُّجاج. ولا تفهم المديرة الإشارة بالفجوة الثَّقافيَّة بينها وبين الطَّالب. تستمرُّ المديرة بعرض ادِّعاءاتها وتعتبر محاولة الطِّفل قياس طريق النَّمل وأقدامها عبارة عن "تفاهات" وأنَّه بذلك يجرُّ معه الطُّلَّاب لمنحًى غير مرغوب به. أمَّا الموقف الذي تصف فيه المديرة جلال بالمهرِّج الذي يغضب المعلِّمين ويضحك الطُّلَّاب، حيث يجيب على سؤال المعلِّمة أنَّ المال يتسرَّب من ثقب الجيب عندما تنقص النُّقود. كما أنَّه يجد طرقًا مبتكرة في الإجابة على أسئلة المعلِّمين التي تدلُّ على عمق تفكيره مثل سؤال: أين تقع ساعة بغ بن؟ حيث يجيب المعلِّمة قائلًا: إنَّها لم تقع. وفي نهاية القصَّة يصل الوالدان لقناعة مفادها "أنَّ هذه المدرسة غير ملائمة لابننا لأنَّها لا تقدِّر مستوى تفكيره". (ص. 20)

تعكس القصَّة الفجوة التي يعيشها، ليس فقط الطَّالب المبدع، إنَّما الطِّفل في عصر الاتِّصالات والعولمة، حيث ينكشف على معلومات ومعطيات لا يعلم بها معلِّموه، هذه الفجوة المعرفيَّة تخلق نوعًا من البلبلة لدى المعلِّمين بشكل خاصّ أو بالبالغين بشكل عامّ ويحاولون التَّعامل معها من خلال قهر إبداع الطِّفل. ونجد أنَّ توجُّه الكاتبة نقديٌّ لهذه الظَّاهرة الاجتماعيَّة والتَّربويَّة. ولا شكَّ أنَّ كون الكاتبة عاملة اجتماعيَّة كشفها على تعقيدات في التَّعامل بين الأجيال المختلفة في المجتمع. ولكن في الوقت ذاته، نجد في القصَّة أنَّ الوالدين يدعمان الطِّفل. وفي هذا تعزيز للعلاقة بين جيل الآباء والأبناء.

هذا التَّوجُّه الدَّاعم من قبل الوالدين، وخاصَّة الأمّ، يتواجد في قصص أخرى مثل قصَّة **من كسر البيضة** للكاتبة نبيهة جبَّارين التي نشرت عام 2003، حيث تشجِّع الأمُّ الطِّفلة على مراقبة ما يدور في محيطها. وتلاحظ الطِّفلة أثناء مراقبتها أنَّ الدَّجاجة ترقد على البيض أيَّامًا حتَّى تفقس البيضة ويخرج منها الصُّوص. ومن خلال الحوار بين الأمِّ وابنتها، نجد أنَّ الأمَّ لا تعطي الطِّفلة كل الأجوبة بل تترك لها حيّزًا للتَّفكير والتَّخيُّل. ومن خلال مراقبة الصُّوص وهو يخرج من البيضة تتعلَّم الطِّفلة شئيًا عن الولادة والبداية من جديد، وهذه رسالة لا تظهر بشكل مباشر من القصَّة، إنَّما هي قيمة مستوحاة منها.

أمَّا في القصص التي تتناول الجانب الوطني أو الخصوصيَّة الثَّقافيَّة والقوميَّة، نجد أنَّ البطل هو طفل متفاعل مع الأحداث، مستقلٌّ، لديه حرّيَّة في الاختيار وتقرير المصير. فمثلًا في قصَّة **سرُّ العصفور الضَّائع** للقاضي أحمد ناطور التي نشرت عام 2006، نجد الأمَّ تجول عواصم العالم العربي والإسلامي من أجل البحث عن ابنها الضَّائع. ومن خلال القصَّة يعود الكاتب بقرائه إلى التَّاريخ المجيد للعرب والمسلمين، من خلال الحديث عن عواصم وأبطال وحضارات في المشرق والمغرب. وعند عودتها، تجد الأمُّ طفلها في عشِّه في القدس، وفي هذا السِّياق يمكننا الحديث عن مستويين: الأوَّل: تعزيز للهويَّة الوطنيَّة والإسلاميَّة الجماعيَّة من خلال مدينة القدس العاصمة والمستقرّ للعرب. أمَّا المستوى الثَّاني: فيعزِّز الهويَّة الفرديَّة، حيث يعد العصفور الطِّفل أمَّه ألَّا يفارق القدس إلَّا من أجل السِّياحة والتَّعرُّف على هويَّته. ومن ثمَّ فإنَّه يعود إليها لأنَّها وطنه الذي لا يتركه. ومن خلال هذا التَّصريح نجد أنَّ الطِّفل هو من يقول وهو من يقرّر، وكان يمكن للكاتب أن يعتمد أسلوب الوعظ والوصاية من خلال توصية الأمِّ لابنها بعدم ترك وطنه. إلَّا أنَّ الكاتب آثر أن يعبِّر الطِّفل عمَّا يجول في خلده. وبهذه الطَّريقة عبَّر عن توقُّعات جيل الآباء منه.

ونجد نفس النَّمط في قصَّة الكاتب يعقوب حجازي **بحيرة مرحبا** التي نشرت عام 2008. تجسِّد شخصيَّة الحصان أدهم شخصيَّة اللَّاجئ الفلسطيني الذي يرغب في العودة إلى وطنه الذي يقبع خلف بحيرة مرحبا. يقرَّر أدهم أن يسبح من أجل الوصول إلى الضَّفَّة

الثَّانية. ويتذكَّر خلال تنقُّله الهجرة والتَّغيير عام 1948. يسبح الحصان مع السَّمكة ويغطس داخل مياه البحيرة، ليجد عالمًا متكاملًا في البحر. وعند وصوله إلى وطنه في تلَّة المرجان، يجدها خضراء جميلة تثير فيه الرَّغبة في استنشاق الهواء العليل.

وعلى الرَّغم من أنَّ القدرة على الغوص ليست من صفات الحصان البيولوجيَّة، إلَّا أنَّ الكاتب يختار للحصان تجربة في السِّباحة والغطس. يجري الحديث هنا عن اكتساب صفة اجتماعيَّة من خلال تجربة متوقَّعة من اللَّاجئ، ألا وهي أن يعبر مسافات وأن يتعلَّم أدوات جديدة من أجل الوصول إلى هدفه. يتعلَّم الحصان السِّباحة من أجل التَّحرُّر من قيود اللُّجوء. وهذه رسالة إلى الجيل الشَّابِّ تحثُّه على العلم والتَّطوُّر واكتساب الخبرة. لقد كان بإمكان الحصان البقاء داخل البحيرة والاكتفاء بما رآه داخلها من الخيرات والجمال. إلَّا أنَّ ذلك لم يمنعه من المضيِّ قدمًا من أجل تحقيق هدفه. وهذه رسالة رمزيَّة إلى اللَّاجئ، فلا يجب أن يستقرَّ روحانيًّا في بلد اللُّجوء، سواء أكان في دولة عربيَّة أو أجنبيَّة، إنَّما يجب عليه أن يطمح دومًا بالعودة إلى وطنه.

استعمل الكاتب شخصيَّة حيوان يستطيع الطِّفل أن يتعاطف ويتفاعل معها من أجل أن تصل له الرسالة السِّياسيَّة، وهي رسالة شبه نادرة في قصص الجيل الثَّاني من كتَّاب قصص الأطفال الذين لا تحمل الكثير من قصصهم الهمَّ السِّياسي أو الاجتماعي. إنَّما تركِّز على عالم الطِّفل المتعلِّق بالمدرسة والبيت والحيوان.

كما ونجد توجُّهًا تربويًّا تقليديًّا ظاهرًا في بعض القصص، في التَّعامل مع الطِّفل المختلف، سواء أكان مبدعًا، من ذوي الاحتياجات الخاصَّة، أو حتَّى طفلًا لا يسلك السُّلوك المقبول اجتماعيًّا. حيث يقوم الأدباء بصورة واعية أو غير واعية بكبت الطِّفل المختلف، ومحاولة تأطيره ضمن المقبول اجتماعيًّا. على سبيل المثال قصَّة **البنت الثَّرثارة** للكاتبة مينا عليَّان حمُّود التي نشرت عام 2004. حيث تعرض الطِّفلة سوسن على أنَّها بنت ثرثارة، مرحة واجتماعيَّة. إلَّا أنَّ فيها صفة سلبيَّة وهي إيذاء الآخرين. ولمَّا لم تنجح مقاطعة زملائها لها في الصَّفِّ، أصبحوا غير مبالين بها، تدعمهم بذلك مربِّية الصَّفِّ. لا نجد دورًا فعَّالًا للوالدين

في حوار ابنتهما، إلَّا أنَّ الصُّور في القصَّة تبيّن أنَّهما يوبّخانها. ونتيجة لذلك نجد أنَّها تكتشف لوحدها أنَّ تصرُّفها لم يكن صحيحًا وتقرّر أن تكون مؤدَّبة لكي تحظى باحترام المعلِّمين والوالدين وحبَّهم. وهناك تشابه بين التَّوجُّه التَّربوي لهذه القصَّة وبين قصَّة **سامي الكسلان** التي نشرت عام 1963. هذا التَّوجُّه الذي من خلاله تفرض القيم على الطِّفل دون حوار بينه وبين أهله، إنَّما من خلال أسلوب العقاب. وليس واضحًا من خلال هذه القصَّة كيف وصلت الطِّفلة إلى اعتراف بخطئها. هل هذا بسبب التَّوبيخ؟ أم الخوف؟ أم أنَّها تريد أن تعود لتكون مقبولة اجتماعيًّا؟

ومن جهة أخرى، هل الثَّرثرة هي صفة سلبيَّة في الطِّفل؟ وهل هذه هي الطَّريقة لتغيير سلوك الطِّفل المؤذي للآخرين؟ وماذا عن ثقة الطِّفلة بذاتها؟ ألا يتعارض التَّوبيخ مع الثِّقة بالنَّفس لدى الطِّفل؟ كلُّها تساؤلات يعرضها البحث الحالي من أجل إثارة اهتمام المربّين والأهل حولها عند قراءة هذه القصص، وعند تبنّي هذه التَّوجُّهات التَّربويَّة.

بالمقارنة مع قصص الجيل المؤسِّس، نجد أنَّ قصص الجيل الثَّاني تركّز على تنمية الهويَّة الشَّخصيَّة والفرديَّة للطِّفل بمعزل، نوعًا ما، عن همومه الاجتماعيَّة والوطنيَّة. أمَّا بالمقارنة مع قصص الأطفال التي تنشر في مناطق السُّلطة الفلسطينيَّة في سنوات التِّسعينيَّات والألفين، فنجد أنَّ الهمَّ السِّياسي، الوطني والاجتماعي وبناء الهويَّة الدِّينيَّة والقوميَّة (لدى التَّيَّار الإسلامي من جهة والتَّيَّار العلماني القومي من جهة أخرى) إضافة إلى بناء هويَّة المواطنة والهويَّة الإنسانيَّة قائمين في قصص الأطفال من خلال مؤسَّسات أدب الأطفال التي تعمل وتحصل على الدَّعم المحلِّي والدَّولي، من أجل دفع القيم المستقاة من واقع الطِّفل إلى مضامين القصص التي يقرأها (علينات، 2012 ؛ علينات، 2009).

الخلاصة

عالج المقال مفهومي التَّربية والهويَّة من خلال قصص الأطفال التي كتبت على يد جيلين من الكتَّاب والكاتبات، أوَّلهما كتب تحت رقابة عسكريَّة في سنوات السِّتّينيَّات وحتَّى الثَّمانينيَّات من القرن الماضي، والآخر كتب في ظلِّ قيم العولمة مع بداية التِّسعينيَّات من ذات القرن. لقد عكس أدب الأطفال في كلتا الفترتين تصوُّرات المجتمع حول معنى الهويَّة، فارتكز مفهومها لدى الجيل المؤسِّس على المحلِّيَّة والانتماء للقرية والطَّبيعة، القيم والتَّقاليد العربيَّة لجيل الآباء. وكان تعزيز التَّواصل بين الآباء والأبناء من خلال القصص أحد أذرع الانتماء لهذه الهويَّة المحلِّيَّة. أمَّا في قصص الجيل الثَّاني فكان التَّركيز على الهويَّة الفرديَّة للطِّفل من خلال سبر غوره ومحاولة عرض احتياجاته وإبداعاته. في كلا الجيلين كانت هناك محاولات فرديَّة لبعض الأدباء ذوي التَّوجُّهات السِّياسيَّة، لعرض العلاقة مع السُّلطة ورفض قهرها السِّياسي والاجتماعي بشكل مباشر. فيما فضَّل أغلب الأدباء والأدبيات طرح مفاهيم تربويَّة تتعلَّق بعالم الطِّفل وعلاقته مع بيئته، من خلال التَّرغيب والتَّرهيب في آن واحد. لهذه الخيارات مسبِّبات سياسيَّة اقتصاديَّة واجتماعيَّة، تبدي لنا وبشكل جليٍّ، أنَّ أدب الأطفال إنَّما هو أدب يستقي ذاته من واقعه القريب والبعيد، ويعبِّر أيضًا عن هموم المجتمع، وليس بالضَّرورة أن يستطيع الكتَّاب، الذين يمثِّلون المجتمع، أن يعطوا من خلاله الأجوبة للجيل الشَّابِّ وإمداده بالأدوات للتَّعبير عن هويَّته الفرديَّة والجماعيَّة.

قائمة المراجع

1. أبو حجلة، طارق. **المدخل إلى أدب مصطفى مرّار**. القدس: قسم الثَّقافة العربيَّة، وزارة العلوم والرّياضة، 2006.
2. أبو فنّة، محمود. **آفاق جديدة: دراسات وأبحاث في أدب الأطفال، المناهج والأسباب**. النَّاصرة: دائرة الثَّقافة العربيَّة في وزارة المعارف والثَّقافة والرّياضة. 1996.
3. أحمد، ناصر. **القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال 1975-1984**. د.م: دائرة الثَّقافة منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة. 1989.
4. إسبانيولي، نبيلة وإسبانيولي، هالة. **الجنسويَّة في أدب الأطفال العربي**. النَّاصرة: مركز الطُّفولة المبكِّرة. 2002.
5. أسدي، ميسون. **تفَّاحة جلال**. كفر قرع: دار الهدى م. ض. 2012.
6. الأسطة، عادل. **سؤال الهويَّة: فلسطينيَّة الأدب والأديب**. رام الله: د.ن. 2000.
7. أسعد، د. (2006). "أدب الأطفال الفلسطيني بين الماضي والحاضر: الأيديولوجيَّة في أدب الأطفال"، **مؤتمر أدب الأطفال لفلسطينيّي الدَّاخل**. عكَّا: مركز ثقافة الطِّفل ومركز الأسوار.
8. بقاعي، إيمان. **قصص الأطفال**. بيروت: دار الفكر اللُّبناني. 2003.
9. جبَّارين، نبيهة. **من كسر البيضة**. حيفا: مكتبة كلِّ شيء. 2003.
10. جوهر، إبراهيم، **القيم وسمات الشَّخصيَّة المرغوبة كما يعكسها أدب الأطفال القصصي في فلسطين**،(رسالة ماجستير. جامعة القدس،1998).
11. حجازي، يعقوب. **بحيرة مرحبا**. عكَّا: مركز ثقافة الطِّفل- الأسوار في عكَّا. 2008.
12. حمُّود-عليَّان، مينا. **البنت الثَّرثارة**. كفر قرع: دار الهدى م. ض. 2004.
13. خوري، سليم.. **أجنحة العواطف**. النَّاصرة: مطبعة الحكيم. 1967.
14. الشَّعبي، مهند. **مدخل إلى أدب الأطفال الفلسطيني**. الرّياض: دار الينابيع. 2002.
15. الشَّمَّاس، عيسى. **القصَّة الطِّفليَّة في سوريا**. سوريا: منشورات وزارة الثَّقافة. 1996.

16. الطَّيِّب فقيه، أ.،" الأطفال والحرب في القصَّة القصيرة"، **شؤون أدبيَّة**، العدد 46. الإمارات: اتِّحاد أدباء الإمارات، ص. 127-97. (2004).

17. عبَّاسي، محمود وقعوار، جمال. **سامي الكسلان**. النَّاصرة: مطبعة الحكيم. 1963.

18. عبد الفتَّاح، إسماعيل. **أدب الأطفال في العالم المعاصر: رؤية نقديَّة تحليليَّة**. القاهرة : مكتبة الدَّار العربيَّة للكتاب. 2000.

19. علي، جمال. **إنسان: مجموعة شعريَّة للأطفال**. عكَّا : مركز ثقافة الطِّفل. 2011.

20. علي، جمال. **خدِّي كالورد: مجموعة شعريَّة للأطفال**. دالية الكرمل: نشر وتسويق: ناطور ونصر الدِّين. 1995.

21. علي، جمال. **لي الدُّنيا**. حيفا: مركز أدب الأطفال العربي في إسرائيل. 1996.

22. علينات، سلوى، "طفولة في صراع: انعكاس الصِّراعات السِّياسيَّة والمجتمعيَّة في أدب الأطفال الفلسطيني (1987-2000)"، **مجلَّة الحصاد** 2 (2012).

23. فرخ الهدهد، روضة وآخرون. "الانتفاضة في أدب الأطفال"، **أدب الأطفال العربي**. عمَّان: الاتِّحاد العام للأدباء العرب، 1992.

24. مرَّار، مصطفى. " أبو رجل مسلوخة"، **التِّين والشَّياطين وقصص أخرى**. تل أبيب، دار النَّشر العربي، 1982.

25. مرَّار، مصطفى. "التِّين والشَّياطين"، **التِّين والشَّياطين وقصص أخرى**. تل أبيب، دار النَّشر العربي. 1982.

26. مرَّار، مصطفى. "أنا والدَّار الجديدة"، **التِّين والشَّياطين وقصص أخرى**. تل أبيب، دار النَّشر العربي، 1982.

27. مرَّار، مصطفى. **أنا مواطن إسرائيلي: فى مبادئ القراءة العربيَّة، الجزء الثَّالث للصَّفِّ الثَّالث الابتدائي**. تل أبيب، دار النَّشر العربي. 1954.

28. مروة، سوسن. "أدب الأطفال في فلسطين"، تحرير: عامر عوض الله. **مؤتمر أدب الأطفال في فلسطين**. رام الله: مكتبة بلديَّة البيرة ومؤسَّسة دياكونيا. (2006)

29. مشهور، اسبستيان، "أهداف وغايات أدب الأطفال"، تحرير: عامر عوض الله، **مؤتمر أدب الأطفال في فلسطين**. رام الله: مكتبة بلديَّة البيرة ومؤسَّسة دياكونيا. 2006.
30. مواسي، فاروق، "الانتماء للوطن في الشعر الموجَّه للأطفال كما عبَّر عنه شعراء الجليل والمثلَّث"، **المؤتمر الثَّاني لأدب الأطفال الفلسطيني**. عكَّا: مؤسَّسة الأسوار. 2007.
31. ناصر، عبد اللطيف. "الرَّبُّ واحد"، **أنا لا وقصص أخرى**. النَّاصرة: مطبعة فراس. (1982).
32. ناصر، عبد اللطيف. "الملك القزم"، **أنا لا وقصص أخرى**. النَّاصرة: مطبعة فراس. 1982.
33. ناصر، عبد اللطيف. "أنا لا"، **أنا لا وقصص أخرى**. النَّاصرة: مطبعة فراس. 1982.
34. ناطور، أحمد. **سرُّ العصفور الضَّائع**. عكَّا: مركز ثقافة الطِّفل- الأسوار في عكَّا. 2006.
35. يحيى، رافع، "صورة الاحتلال في أدب الأطفال الفلسطيني"، **مؤتمر أدب الأطفال لفلسطينيِّي الدَّاخل**. عكَّا: مركز ثقافة الطِّفل ودار الأسوار، 2006.

المراجع الأجنبية

36. أبو بكر، خولة. **علم الاجتماع السياسي للطفل الفلسطيني بواسطة أدب الأطفال الفلسطيني** (بالعبرية). (رسالة ماجستير: جامعة حيفا، 1989).
37. الحاج، ماجد. "هوية وتوجه لدى العرب في إسرائيل: تهميش مضاعف"، تحرير: روت غافيزون ودفنا هاكر، **الفجوة اليهودية- العربية في إسرائيل** (بالعبرية). القدس: المركز الإسرائيلي للديموقراطية، 2000.
38. دار، ياعيل. **وتعلمنا من المدرسة: المجتمع في الكارثة ونحو إقامة دولة في أدب الأطفال الإسرائيلي، 1939-1948** (بالعبرية). القدس: دار النشر ماغنيس والجامعة العبرية، 2006.

39. ريغف، مناحيم. "أدب الأطفال كاستعارة سياسية واجتماعية"، **دوائر القراءة** (17) (بالعبرية). حيفا: دار نشر لجامعة حيفا، 1992.

40. ريغف، مناحيم. **في سبل قصص أطفال** (بالعبرية). تل أبيب: مكتبة العمال، 1985.

41. سموحه، سامي. "الأسرلة للهوية الجماعية والتوجه السياسي للفلسطينيين مواطني إسرائيل، نظرة فاحصة جديدة"، تحرير: إلي ريخس، **العرب في السياسة الإسرائيلية وأزمات الهوية** (بالعبرية). تل أبيب: جامعة تل أبيب ومركز موي ديان لأبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا، 1998.

42. علينات، سلوى. **طفولة في صراع: انعكاس الصراعات في أدب الأطفال الفلسطيني (1987-2000)** (بالعبرية). (رسالة ماجستير: الجامعة العبرية، 2009).

43. كوهين، أدير. **وجه بشع في المرآة: انعكاس النزاع اليهودي العربي في أدب الأطفال العبري** (بالعبرية). تل أبيب: ريشفيم، 1985.

44. ماشيح، سلينا. **طفولة وقومية: طفولة متخيلة في أدب الأطفال العبري 1948- 1790** (بالعبرية). تل أبيب: تشاركوفير للنشر، 2000.

45. هارئيل، شلومي. **أدب الأطفال هو الأدب** (بالعبرية). تسوفيت: مركز ياميما لبحث أدب الأطفال وتدريسه، 1991.

46. Hofman, John E., 1988. *Arab-Jewish Relations in Israel : a Quest in Human Understanding*. Bristol, IN: Wyndham Hall Press.